ظاهرة الاختصاص وبروز الفروق فى الأدب . فهذا عصرنا ملىء ببواعث الانصراف من الداخل إلى الخارج كما كان العصر السابع عشر ، ولكن علم النفس مع ذلك يتقدم باطراد ، ولكن الرواية النفسية التحليلية تحتل المكانة الأولى فى مكتبة الأدب الحديث

وأحسب أن من الخير أن أعيد هنا ما كنت ذكرته فى مقالى السابق تعليلا لظهور الدراسات الباطنة وما تلاها من تأسيس علم النفس التحليلى الذى تهداه أدباء الأجيال الحديثة فى كتابة القصة النفسية أو التحليلية فقد قلت هناك :

« إن هذه الدراسات الباطنة للنفس كانت مظهراً عادياً يتساوق مع المظهر العام لنشاط الفكر البشرى فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فلما كشفت الكشوف الفلكية والطبيعية والكيميائية والفزيولوجية ، كشفت كذلك الكشوف فى مجاهل النفس وخوافى الحس . فمذ اصطنعت الطريقة العلمية فى البحث وأخذ العلماء يجرون على أسلوب المشاهدة والفحص والاختبار اتخذت دراسة النفس خطة منظمة مجدية ، فظهر أولا علم النفس العام وتلاه علم النفس التحليلى ؛ ولكنا نعود ونقول إن هذه الدراسة لم يكن الحافز فيها والباعث عليها انتهاء الكشوف الظاهرة ، وإنما كان الحافز عليها اتساع تهذه الكشوف وسيرها على خطة علمية منظمة مُجدية شملت الجماد والحيوان والانسان جميعاً ... الخ »

* * *

وأخيراً نحن نسلم للأستاذ العقاد بنظريته جملة إذا فسر لنا نشأة علم النفس العام والتحليلى بعده معزولين عن فروع المعرفة الأخرى فى القرن السابع عشر وبعده ، أما إذا اضطر أن يعيد علم النفس فى نشأته وتقدمه إلى حظيرة العلوم الأخرى من حيث الصلة والزمن ، فأحسب أن نظريته لا تسلم له مهما حاول أن يستفيد من « الحس الاجتماعى » و « الدراسة الباطنية » و « الدراسة الظاهرية »

وفى الختام آمل ألا أكون أثرت فى صدر الأستاذ الكبير بهذا الكلام غير الشعور الذى يثيره طلب الحق ونشدان الصدق

أديب عباسى

من بريد الفن

مضت أعوام عديدة على ذلك اليوم الذى شعرت فيه بفتة بدوار الصعود الفكرى ، على أثر مطالعات كثيرة وتأملات عميقة فى عزلة طويلة . وبدا ذلك على وجهى فسمعت طبيباً يسدى إلى النصيحة أن أترك كل شئ وأذهب من فورى إلى البحر ، أستنشق الهواء وأغمض عينى بغير تفكير . لقد كنت أحسب التأمل كل شئ فى حياة الأديب ؛ وكنت أعتقد أن حياتى ستمضى قراءة كلها وتفكيراً على ذلك النحو وبذلك المقدار ، فكنت أستهول العاقبة وأتساءل عن النتيجة

ومرت الأيام فإذا بى أنصرف بعض الشئ عن المطالعة والتأمل . وإذا الأعوام تنفق فى شئ آخر لم يكن فى الحساب: هو البحث عن الجسم الذى تحل فيه تلك الأفكار الهائمة كالأرواح . هنا وضحت لعينى العضلة . وفهمت أن التفكير فى ذاته يسير ، ولكن العسير هو أن أقيم « الفكرة » على قدميها كائناً نابضاً يتحرك ويسير . إن القليل من عمر الفنان هو الذى يبذل فى التفكير الصرف ، والكثير منه هو الذى يذهب فى سبيل صنع ذلك اللحم والدم الذى ينبغى أن تسكنه الأفكار

إن « الطبيعة » أستاذنا الأعظم نحن الأدباء والفنانين ، تفكر هى أيضاً ، غير أنها لا تفكر « كلاماً » فهى تجهل « اللغات الحية » ، ولكنها تفكر « مخلوقات حية »

« تفكير » الطبيعة «أسلوب» . وإن طريقتها الواحدة فى تركيب الكائنات جميعها : من عالم الجراثيم إلى عالم الأجرام لهى وحدها التى نقرأ منها تفكيرها . « الخلاّق » فى الفن أيضاً لن يستحق هذا الاسم حتى يصبح التفكير عنده مماثلاً لتفكير الطبيعة ، فيملك تلك القدرة السحرية أو الهبة السماوية التى بها يخرج أفكاره من رأسه تجرى لابسة أثواب الحياة

كذلك خالقو الشعوب وبناة الحضارات ، كل عبقريتهم أنهم لا يفكرون « كلاماً » ، وأن الأفكار والتأملات عندهم هم أيضاً لا تكتب كما هى ولا تقال ، إنما ترى قائمة متحركة فى صورة أمة ناهضة أو على شكل ثورة متفجرة

ذلك معنى «الخلق» . وتلك هى «الأفكار» فى لغة كل خلاّق

توفيق الحكيم